

عبد الله راجع  
كتاب الخروج من بحر الظلمات

سانية المنصوري

لِسَلَا انفجارُ البرقِ والزمنِ المحمَّلُ بالكتابة  
لِسَلَا الحفونُ توسَّدتِ عنقِ السحابة  
ولها النبوءة حين تتقلُّ الشموعُ وتختفي  
ترنَّاحُ عاماً كي تحركها السواعِدُ من جديد  
ولها صهيلُ البرقِ بين سحابتين  
لَهَا الفصولُ تحييء مثقلةً برائحةِ الحصرِ وتختفي  
لم ينقلوك على الخيولِ  
تحركتِ بكِ جارةُ زرقاءِ عبر «الصيف»  
كنت ترى المدينةَ من خلالِ قضيبكِ المقصوصِ  
تهلِّبُ خلفَ أنعامِ الرِّبابةِ  
وترى الحوانيتِ التي عرفتكِ تُعْرِقُ  
في التساؤلِ والإجابةِ  
من قال إن سَلَا تحونُ البحرُ ؟  
من قال امتشاقُ عيونها يهبُ الدُّموعُ ؟  
ومن سَوَّكِ قافلةً من التَّعْرَابِ تنبُغُ  
في تضاريسِ الكِتَابَةِ

يتقدم في كيميائه، فاتحا صدره لطمعة وسيمة، ذلك  
الرجل الموزع بين خطون خاقتين، لم يمنح دهشته  
طعم العشب ولكن حين اتوا رابط في دهشته  
فاحضرت صار لها مذاق أشبه بالأصوات المذبوحة  
ذلك الرجل الموزع بين فاتحتين اثنتين.

لم تحترف همًا، ولكن التردُّد بين دكَّانِ الخياطةِ والمسيدِ  
بين امتهان «البرَّهمان» وبلغ بعض زعانف الاسماك

وَهَبَ احْتِقَانَكَ بِالْمُومِ بَرَاءَةً  
 وَرَمَاكَ لِلزَّمَنِ الْبَعِيدِ  
 يَا أَيُّهَا الْفَرَسُ الْمُدَجَّجُ بِالْحُرُوفِ وَبِالرَّحِيلِ  
 مَنْ قَالَ إِنَّ لَدَيْكَ فَاكِهَةً مُؤَجَّلَةً  
 وَمَنْ أَوْصَاكَ بِالصُّورِ الْجَمِيلِ ؟  
 حُمِلْتَ إِلَيْكَ رَهَافَةً الْمَلْحُونِ، حَتَّى حِينَ صِيرْتِ الْعَا  
 شِقَ الْمَقْتُولِ قَلْتِ : حَبِيبَتِي لَنْ تَحْلَعَ الْخَلْخَالَ وَالْمَلْمِيعِ  
 تَحْدَعْنَكَ نَافِذَةً تَطُلُّ عَلَى التَّوَاشِي السَّيِّعِ، نَافِذَةً  
 تَعَادِرُهَا لَتَفْرُقَ فِي زَمَانٍ سَوْفَ يَأْتِي أَمْسُ  
 نَافِذَةً مِنَ الْحُلْمِ الْمَطْلِ عَلَى الْمَتَاءِ  
 وَأَتَيْتِ هَذَا الطَّيْنَ كَمَا تَجِدُ التَّامَكَ فِي سِوَاهِ !  
 لِسَلَا الْبَحَارُ، لَهَا امْتِدَادُ الْحَلْمِ  
 كَيْفَ أَذِنَ تَجْرَ الْخَطْوُ مِنْ بَابِ الْخَمِيسِ إِلَى شِبَابِيكِ ابْتِ  
 نِ عَاشِرٍ كَمَا تَرَى مُدْنًا وَاضْرَحَةً تَسَافِرُ  
 كَمَا تَرَى الْإِفْقَ الْمَحْمَلُ بِالْبُخُورِ يَمُدُّ أَجْنَحَهُ وَيَرْحَلُ  
 أَيُّهَا الْوَلَدُ الْمُدَجَّجُ بِالصَّهِيلِ  
 وَلَكِ الْحُرُوفُ تَجْمَعُ فَنَيْسَتْ حَتَّى لَا تَطِيلُ

وحذك تزقي الأجر، متشحا بالشيق من طغات  
 الغدر، ووحذك تأتي جامعا شرك المنفوش داخل  
 قبة، تسرق البرق وتطلقه، أي ربح عودتك الصمت  
 أيها المولع بتأسيس الهدم ؟ ومن أين تأتي النائحات  
 يعجن الغناء بالمرائي، هذا مساء مشاكس، والطيور  
 التي تقبت منايها الغمام نجيء محملة بالرغبة في  
 اقتناص بكاء ينفرد الصلصال فيه بصورته.

هل تذكرُ طعم التين الشوكي ؟ انتظرتُ حيناً  
 برِيقَهُمَا زَمناً كَمَا تَعْرِفُ أَنْ جُنُوداً قَتَلُوا  
 تَحْتَ الْعِلْمِ النَّابِضِ بِالْأَزْرَقِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ  
 وَأَنْتَظَرْتُ شَفَتَكَ حَدِيثَهَا زَمناً كَمَا تَعْرِفُ  
 أَنْ الْبَاقِينَ انْتَقَلُوا مِنْ رُكْبِ الْجَيْشِ إِلَى عَرِيَاتِ التِّينِ الشُّوكِيِّ  
 فَهَلْ تَذَكُرُ يَاشُكُدَالِي  
 يَوْمَ أَفَاقُوا قَبْلَ الْفَجْرِ يُبْتَلَىءُ الْبَيْتُ بِرَائِحَةِ الْقَهْوَةِ وَالْحُلُورِيِّ

أخذوك من النوم الى صدر عريف لم تتبين  
في الليل خرائط عينيه، ولم تلمس الا الخوذة  
والشعر الممتد من الانف الى الذقن، فهل تذكر يا شكديالي  
في زمن ما ولديك من الملم سلال،  
جاءوك، اكتشفوا انك لم تفعل شيئاً  
كُتِبوا اسمك في بعض دفاترهم، وارتحلوا  
ثم أتوا ثانية

أخذوك الى ثكنات لم تألف احداها الا نقلوك الى الأخرى  
سبَّه ارقام صرت، على جسد ينخل بالعشق  
وبعض رسائل من احببت تحببك مثقلة بخنان تعرفه  
ونقود لم تعرفها  
كانت فترات حراستك الليلية عامرة بالأوجه والكلمات المختارة  
بصفوف تتحرك من باب المعهد حتى مبنى البلدية  
بالأيدي، برصاص، وحجارة  
بخطاب مطوي في الجيب، أصفر، بأسلاك الهاتف  
بالتفتيش، بكف امرأة تسرق جسمك من بين بنادقهم  
حتى ارتحلوا، بيد مشطت شعرك ذات مساء  
وهبتك استرجاء صبي  
فاختلطت العشق لديك بصمت وبكاء

قال المجنون : انطلقت اصوات القراء  
تخط الآية بالآية، وانزلت رائحة العود  
تذكر بما مضى من زمن سوف يجيء كانت بعض  
الأعين تنداح يمينا ويسارا، وعيون اخرى تركب  
احلاما. قال المجنون : احترقت ذاكرتي : اتصورني  
سيد هذه الليلة. زفوني زفاق مطلق وانتروا.

المجزرة الآن ابتدأت

اذكر ان قد جئت الى مرتفعات «الحاجب» كي تجديني  
مُتسخا. قلت بعيد يا ولدي أنت  
ونارك في صدري كافية للقتل، فكيف اراك ؟  
أحسست بانك تخفين الدمعة  
أحسست بأني اتحول ساحات عراك  
وتعانقنا أكثر من عشر دقائق

وتحدثنا عن اختيارِ الأهل، عن العسكرِ والأسلاكِ  
 لكنْ حين ارتسمتْ في عينيكِ البسمةُ يا أمي  
 وسعتْ مساحاتي، وأضعتْ القلبَ هناكِ  
 في زمنٍ آخرٍ يا أمي  
 كانت «سانية المنصوري» تنغل بالاطفالِ  
 بأحلامٍ تتحركُ ماسحةً أعيننا بالزمنِ الموعودِ  
 وعلى ثمشٍ يركبُ سحنة «ميشيلين» انفتحت نافذةً في  
 القلبِ واطرى انغلقت اذ فصل البارودُ  
 بين ملاحِ ميشيلينٍ وعيني  
 وأعاد الزمنُ الأعرجُ صفحتهُ ثانيةً، لم ابلِكِ  
 ولكني اقرأُ في عينيكِ صياني  
 فيصاحبني همٌ لم يدركه سِوائي  
 الجزيرةُ الآنِ ابتدأتْ اذكُرُ ان القتلِ كانوا باعةُ تينِ شوكي  
 ولديهم احلامٌ أكبرُ مما يسعُ الجسدِ المشروخِ وكانوا  
 حلاقين وشحاذين وصنّاعِ حصيرٍ  
 ثم انفتح الحفلُ وكان التوقيعُ وأكوابِ الشايِ  
 لكن حين تكررتِ الصفعةُ، كان القتلِ  
 اطفالاً في سنِ الحلمِ امتلأت، بدفاترهم ارضفةً  
 بقايا الاذرعِ والافخاذِ امتأت حقرَ  
 ثم انفتح الحفلُ وكان التوقيعُ وأكوابِ الشايِ  
 القتالِ يا أمي يخرج من لعبته بالتوقيع على ورقِ ابيضِ  
 والمقتولِ يظل هو المقتولُ  
 فخذيني كي اقرأُ في عينيكِ متاهاتي  
 ضُميني حتى لا يُفتح في ذاكرتي ثقبٌ  
 واعيدي لي سانية المنصوري  
 علي ابدأ يا أمي ترتيبِ سطورِي!

المساءات وحدها لا تكفي أيتها الزينق  
 ما الذي يجعل اهدينا اشد عنها من المرأة  
 وأنت أيتها اللارق المسافر في دمي ايها المقتش عن  
 اناث كي يفرخ. ليكن مذاقك اشهى كي اقول  
 الارض تنغل بالرجال. الطيبين. المساءات وحدها لا

تكفي وعاما بعد عام اكتشف الفراغ القاتل في  
ضحكة امرأة لبستها وخلعت ذراعى.

حاورتني من الجيس، لم تقترب من عيوني الا قليلاً  
وأنكرها البحر حين اشتبّ ان تكون لامواجه لغة الياسمين  
كيف لي أن اقوم هذا الصهيل  
وبعض الحديث هوى لا يُبين  
كيف لي والمساءات ما وهيت غير بعض الحبوب من البين  
ثم استوت كى تجرب في جسدي لهجات الجنين  
إنني شيق

والقطارات شيقة حين تجعل من جسدي سكة  
أيها البحر قل لي متى يركب الموج غضبته ؟  
والطيور التي رفعت بالناقير بعض الحجارة أيان تأتي ؟  
أنا مترع بالمساءات

لم اختطف قبلة، ثم حين اختطت كشفت وعاتبني الـ  
أصدقاء القدماء، وانكرني ليلة العيد وجهي  
أنا مترع بالصهيل

وطني وطني أيها الأزرق المكتوي بالنبوءة هبهم قليلاً من العشق  
كبي يعرفوا أن وجهي برني

انني حين قربت من وجنتيك فمي  
كنت ابحت عن سبب الأضي

قل لهم انني مذ فتحت فمي باكياً واستشاروا الفقيه ليسجنتني  
لحظة في «ابن حسون» كنت غريباً ومحتفناً بالبكاء  
وإذ عاقبوني ببلع الزعانف أدركت ان العقوبة أكبر مما فعلت  
وأني متهم بالبراءة والكبرياء

وطني وطني أيها الأزرق المكتوي بالنبوءة ان الطريق  
تقود الى السجن من صار اكبر من ان تحيط به في ابن حسون  
نافذة، والزعانف أئمن في فترات الغلاء

قال المحبون خيأتني البراعات وناشدني بعض معارفي  
ان اكشف عن عورتي فخلعت قميصي ومزري ..  
كان الليل رهيباً. ولدي من الاسرار ما لا يفضحه  
خلع قميص ومزري. قالوا زدنا توضيحاً، فأشرت الى  
البحر وقلت : عار هو البحر ولكنني اتجسد في

الكائن حتى لا يركبكم موجي. واقوم على خدمة  
يابسة لايقظها الا الياس. اني مركبة تعشق سيدة  
تمتطي شفرة مينورا وتجعل المرء جديدا كل صباح

.. نشروا جسدي وانتدبوا البرق رسولا  
اني خادمكم. أغسل ما يعلق بالبذلات الزرقاء من العرق الآسن  
أكتب عنكم ما يدفعني صوب البرقان  
وأقسم إن شهادتكم اعلى  
ولديكم من طيبونة آدم ما لا يملكه الشعراء  
أنا خادمكم. لكن هل ضاقت كل الدنيا  
ليكون نصيبي منها مرسوم رثاء ؟  
يا شكديالي اكتب انك آت كمي تفقد لحمك في زمن يسمن  
فيه الموق من أسفل مثل البصل اكتب انك مقطوف من شجر  
وادخل طقس الفقراء  
تلك المائدة امتدت ذات صباح، أذكر، كانت بعض شعيرات  
بين الانف وأعلى الشفة العليا قد بدأت تسود، وكنا  
نقرا أشياء لا ندرك معناها  
حين امتدت تلك المائدة اكتض الشارع بالارجل والأيدي  
وارتفعت اصوات تزعم ان جاء زمان لا يلدغ  
مرث ساعات، ثم انكشفت تلك اللعبة عن تغيير في  
مائدة الشطرنج : انتحر الفارس، وانتصبت جدران القلعة  
سامقة تبتلع البيدق تلو البيدق  
كان أن احتضن الفارس سيدة الشطرنج فغطته بمحصلتها  
كي يلعب دور القلعة يومين واياما أخرى دور الاحمق  
ياشكديالي اكتب واكتب واكتب  
وحذك والسيجارة والورق الابيض والاقلام  
ياشكديالي اكتب واكتب واكتب  
وحذك والشارع في قلبك والايام  
قد تأتيت امرأة، وهبتك الأطفال، تهزك من بين الأوراق  
ولا تقرأها، تبحث فيك عن الانسان ولا تصنعه، تنزع من  
بين السبابة والوسطى عقب السجارة كمي تشعل اخرى في قلبك  
تأتيت على صهوة حلم اكبر منك ومن عالمك المصنوع من  
الكلمات، وتأتيت فلا تمنحها غير صنيع يديها

بطلا من ورق، احلاما من ورق  
هل تضمن ألا تبحث عن فرس آخر لا تشغله احزان الدنيا  
عن فرس او سم منك وأوسع وجها اذ يضحك  
عن رجل مصنوع خصيصا للتبريح  
يخرج من احلام الملحون ليلقي بين يديها بالخلخال وبالدمليج  
ياشكدا لي اكتب واكتب واكتب  
انت الرجل الكاشف عن عورته بالحرف المتوهج كالجمرة  
ماذا يُعجب كل نساء الدنيا من شخص ضيع عمره  
كي يلهت بين الوطن الأوسخ والوطن الأنقى.

### للزنايق ايضا أنيابها

سيدتي زنيقة نبتت في كتف النهر. وكان النهر وسيما يدرع  
أبهة الوطن العاشق صورته في الماء، وللنهر حكايات تروها  
الجدات، وسيدتي تملك احلاما تتوزع بين ركوب النهر  
الى حيث يخالطه الملح، وجنتي الهمسات الشبقية حتى  
تأخذ شكلا يتلاءم والجسد الفارع مثل نخيل الريصاني وسيدتي  
الناعسة الطرف تغادر مخدعها نحو الهمسات الأكثر وخزا للفرس  
الرابض في اشهى معتقات الصدر، لها النهر وما فيه  
لها الارض ومن فيها. وأنا. أنا لي جسد يتقدم نحو المجرى  
متسحا بالصبر  
نكتشف النهر وتنفيه، نكتشف الارض قليلا كي تلغيا  
يتمسك في ثورت ه النهر بعميق المجرى، او يسمق مأخوذا  
بالفيضان، وسيدتي، زنيقة تعلقو تعلقو حتى تنسى احزان النهر

باريس ايتها الحمقاء ما للسين حين يشقك نصين  
يمشي بهدوء لا تعرفه الطرقات. وما للعناق وسط  
الدروب لا يجمع الصبيان. ايتها المحشوة بالمطر  
والمرين. من قال ان قلق العصر اصابك أخطأ.  
المخطئ الاكبر من قال :

voici le soir charmant, Ami du Criminel

Il vient comme un complice, à pas de Coup, le ciel

Se ferme lentement comme une grande alcove

Et l'homme impatient se change en bête fauve

على طول الطريق الممتدة بين برج ايفل ومونتمار كان  
الفتيان الشقر يخاصرون الفتيات، وصديقي حين  
شاء ان يغرس في القلب مدية قال مازحا : لنصرخ  
«حطوا الدجاج لمواليه» وضحكت باباريس موزعا  
بين الدار البيضاء وبينك. ثم بعد اسبوع لم نعد  
نركب المترو. وكان المشي على الاقدام افضل.

هو النهر استشار همومه قبل الخيء وغازل الادغال،  
فانكفأت تُعب الرمل، والشجر المعرض للسقوط. النهر اضرب  
عن مسار لا يفجر حزنه البني، نهر يكشف الآن الحياة  
في انفصال العصن عن شجر يقاوم حالة الطقس المؤقت  
حاور المدن العريقة في تلقي الصفع، فانتفضت :  
لهذا الصيف لون الرعب قل للصيف ما خفناك  
نشكو البرد . نشكو الجوع نشكو الصفع عاهدناك  
هذا الرأس لن يخنى ودمع العين لن ينسك  
نهر عندما استفتى الهموم تزينت في البيت سيدتي  
انقبيني واتقبيني في انتظار حرايمهم، هزي علي الردف  
ان نوايع القول المدمس آثروا التوقيع فوق الردف رفعا  
للمعاناة، انتهيت اليك بعد مجاعة أطعمتها مدنا تنوء بها  
الدواخل، وانتهيت اليك بعد رحيل هذا التمل نحو لغاته الأول  
وبعد البدء بالتفتيش في الرثتين، بعد تحول الخازرق في  
المصران، بعد البعد جنتك رافعا حفري فعضتني، رأيت  
بكاراة تفتض في رمل الجليل، رأيت فرعون، استقام له  
النحاس، تأهبي يا أنت كي تستقبلي من يرفع الاسعار  
في سوق الجسد.

في رحلتنا من مدريد الى باريس، رافقتنا فتاة غجرية  
اذكر ان اسمها خونينا كانت من مواليد بوجوس.  
تملك عينين بنيتين، ورحبتنا ان نقبل الضيافة ثم  
التعرف بالاعماء وحركات الاصابع. علمناها كيف  
تقول سلاما. وعلمتنا كيف نقول ADIOS. وحين  
ودعناها بكت هل ما تزال تخير ابها العالم بعد ان قال  
نادل في غرناطة حين طلبنا قهوة سوداء

BANDIDOS. هل ما تزال بخير ايها العالم الغرناطي  
يصق في وجوها. وبنات بورجوس يعشقن السمرة !  
سلاما بالوركا العظيم.

سيدتي زنبقة نبتت في كنف النهر، وكان النهر طريقا تصل  
الحلم العابق بالمنعطفات، وللنهر طريق لا تخفيها المنعطفات.  
وسيدتي في اللحظات الأولى من صحو عصافير اللحم اختارت  
ان تلزم في الرحلة يمناهاء، فانعطف النهر يسارا واقتدني.  
وجدتني اكتب شيئا عن وطن يبدأ رحلته من كامب ديفيد  
فانصبت سيدتي مثل قضيب غلام واكتشفت في جسدي غرة  
كانت تعرف ان الاعين تلهث خلفي، تتعثر  
وأنا اكتب للوطن المحبوب قصيده  
صارت تعرف ان حياتي اقصر مما تتصور  
وغدا قد يأتيها من يحمل في العينين جريده.  
كانت تعرف ان الوطن القاتن يسكنني  
يتجول في كريات الزرقاء  
صارت تعرف ان دخان الشوق الطالع من رثتي  
يجعل عينها جزءا من وطني  
يتحرك في قنوات الصدر فيوجعني  
قلت التحقي بالنهر ايا جماعة المهدين. واسلمت النهر  
جبين مريد لم يثقبه الضوء سوى بضع ثوان كي  
يعرف قانون اللعبة اكثر من حلاج  
سيدتي. ضميني أوراق في عيني الحب وازهر  
ضميني نبت الشوق بقلبي احمر احمر  
ان كنت تحبين سكوتي  
فانا أعشق صمتك اكثر !

لكن.. كيف اذن حين سما النهر الى العتبات الاكثر نضجا  
قلت جيبني احل من ان يملاء السوقه رعبا  
وهبطت السلم رافعة اذبال القفطان  
هل عندك اغوار لم ينبت فيها يوما زهر البركان ؟

لم تمسها يوما قدم النهر ولا استوطن بعض مخايبها انسان ؟

باريس. يا من تخرج الجنود منك باعة تين شوكي.  
اذكر انا نخشنا عن جدران سحن الباستيل في كل

مكان. ونحن سألنا شرطيا ضحك حتى كاد يسقط. ثم قال : مر قرن من الزمن على اندثار الجدران ولكن لأبأس. اجثوا هناك في هذا الدرج المؤدي الى الميترو بقية من رائحة الباستيل. باريس ايها القائلة المقتولة. لم اجئي باحثا عن الباستيل. ولكني ادبت ثمن التذكرة ذاهبا وايابا بالقطار من وطني اليك لايبحث عن مقهى نقش رامبو على طاولة فيه اسمه. وانجمل عن اسأل عن المقهى حتى لا يضحك مني شرطيا أو دركسي.

صباح جمعت اثواني واعددت الحقائب للسفر

بكث من شدة الحزن الحبيبة، عاهدتني

ان تحط الي آلاف الرسائل

عن الشوق الذي يسكن أعماق المفاصل

وعن وهج الدموع متى استحالت خنجرا في العين

رحلت، ولم أدر عنقي

سُقبل وجهها القمحي ممتطياً رسالتها الي

فلما غررتني البيد عنها

واستحال الشوق منفي

قضيتُ الصيف انتظر البريد

وما كتبتُ الي حبيتي حرفا

ياشكدا لي، سينهر الفجر على نافذة مثقلة بيراعات لم تشحد

تأتي حيوانات اخرى بزعانف مشبعة احزانا، تأكل بقلا

وتقوم الساعة حتى يشهد حُودي ما خبأه النورس عن صاحبه

أتقدم محلولا كمشجيرات، ازجر بعض عناكبكم زجر الحاجب

ما اقتربت سيدة مني الا اقتسمتها الرعشات،

فجثني يانورس بالاجمل منهن، وجثني بالعربات انا الفاتك في وحدته،

وأنا المثقل بالجزائريوم، اسافر نحو مدائن لم تشهد الا بالزور،

اكوكبها، والف على البحر زعانف خيظت جلبابا.

يامقطوع الذيل تعال وحاورني

مثل صديق غاب غدا فاندلقت رائحة الكسحجان على نافذة

لم تفتحها الا عاشقة،

حدثني عن زمن يخرج من ثقب الابرّة محشوا بيراعات اخرى،

بهصيل آخر  
وادخل في جسدي.  
وتعالوا يا بحارة هذا الزمن الاعرج لموني، وخذوني معكم  
ما عادت لي تلك الرغبة في ان ارثيكم  
اني اشعر اني المرثي  
وها انتم تنتقلون على عجل كمن اكتشفوا ان قطارا لا يمكن ان يتوقف اكثر من خمس دقائق،  
لموني وانتشروا  
وحين اتيت من سفرك  
يغالبك العيأ، فتسحب الخطو المعالي  
تقافز من شقوق البيت صوت الطفل  
— اذكر ليلة السفر المفاجئي  
لقد ثقبت يدك غشاء منع الحمل !  
تقف الآن غريبا ياشكدالي  
ووحيدا تملك جمجمة لا يملأها الا الدمع المالح  
من منا يوقف هذا الزرزر النائح ؟  
حين عشقت الوطن النابت في عيني سلطانه  
وتدللت اغصان القلب العامر بالطيبوية  
انكر وجهك وجه المحبوبة !  
لا تتمرق ياشكدالي.  
أولم تعرف اثناء رحيلك من مدريد الى باريس  
ان امرأة من بورجوس بكت،  
ان صديقك رامبو وجد العالم في الادغال،  
وان النابت في وحدته لوركا، ظل يطارد بين شوارع غرناطة،  
لا تتمرق، قلبك لا يقدر ان يفرغ زاوية لا امرأة  
قلبك مملوء بالوطن الباحث عن يعشقه.. قل :

Je veux dormir un instant

Un instant, une minute, un siècle

Mais que tous sachent bien que je ne suis pas mort

Qu'il y a sur mes lèvres une étale d'or

Que je suis le petit ami du vent d'ouest

Que je suis l'ombre immense de mes larmes

يذكر او لا يذكر هذا الشكدي  
 ان امرأة قالت هيا امنحني وجهك ساعة يعفو نوار الشمس،  
 وساعة تعقد اجفان الصبية أحلام الغول المتوسد سالف هينه  
 اتي مائدة الله الممدودة للصابر من مخلوقاته  
 انا حتى لو منحوني الشمس فلا شيء يزهدي في المحبوب  
 كنمتُ كنوزي كي افتحها ساعة ياتييني  
 وأظلتُ ظفائر شعري حتى يتوسدها  
 ما أتعسني حين أفتش كل الدنيا  
 كي اعثر في القلب على محبوب اعمى !  
 وانتفض الشكدي قليلا. كانت تلك الالفاظ كبيرة  
 لم يسمع منها واحدة منذ اتي هذا العالم ذات مساء  
 ولأن بني شكدي ارتحلوا  
 عوضهم بامرأة تعجن لفظا وبكاء  
 سألوه عن الممتلكات  
 عن مهنة والده. وهل احترف الوالد يوما تطبيق الزوجات  
 قالت سلطنة يوم العرس يادلل جثني في اللام وجثني منصبا،  
 فانتصب الدلدل. قلنا ياعشق خذ لك من حبات  
 الحرمل قبضة كف، واملأ بالشبة قب الحلبال  
 وانتصب الدلدل مغتاظا  
 قالت جثني في الهمزة وانفضني اتناثر  
 قلنا ياعاشق لا تدخل حتى تدهن بالعاصول  
 وانتصب الدلدل مغتاظا  
 وانتفضت سلطنة اذ طال رفيف العين اليسرى  
 قالت : يادلل ماذا تحمل تحت حزامك  
 قال : قليلا من شعر سلاطين العشاق، وبعض فتيت من  
 اقوالك يامولاتي. قلنا ياسلطنة هني من جهة الشرق  
 ولا تدعي الفاسق يدخل حتى يغطس جسمك في الموجة سبعا.  
 قالت : هبني يادلل نصف نهار، وارحل في جسدي كل نهار  
 فانتفض الشكدي قليلا يوم العرس. وطار.

أبو الخثمي يسترد عينيه

لمسك الليل بعض غباوة الشعراء :

حدثني ابو الخثي حين تخاصرت اعناقنا عند اندلاق الطيب من بوابة المبنى  
واردف : كم يكون العمر حين يغادر الفتيان هذا القيو ؟  
كان الشارع الممتد يبدأ عادة من لفظة نبتت لها قدمان  
أيتها المسافة بين جسمي والفراغ، أكنت اقرب اذ هممت اقول يا وطني اتد.  
عقب المكان بطفلة سرقوا اباها يوم كانوا يدرعون الحي بحثا عن لحي الفتيان.  
كانت تستمد من الفراش براءة

وتقول : يا أبت استفقت فلم اجدك معي !  
تهنئ صاحبي، وتفتحت عين وراء رقابنا،  
مسحته، ثم هوت الي العين. أردف :  
هل يكون حضورنا جزءا من المشهد ؟  
ادرت عن الحمام حديثنا وسكت اذ نشرت سوائفها الموموم علي.  
غظاني بمعطفه ابو الخثي حتى لا يباغثني البكاء وضمني.  
هل كنت ساعة حك لحيته المساء معي ؟  
لقد قلت البداية هذه. وبدأت. فاخطفوا اللسان واطفأوا عيني،  
هات الحبر يا ولدي، وهات الصبر،

ولتنزل الي الاسواق مختصرين حزن الارض في لغة الحمام، وضمني  
هذا انفجار البحر، قلت، وهذه سمة الطيور المشرئية للمفاجئ  
عادت العين الغربية كي تهز قفائي،

واكتمل الحوار على رصيف غمامة ثقت أبا الخثي وانحرفت  
تشد حواجبي نحو امتداد البحر

كان المطعم الجامعي افضل فرصة للمزاح. وعلى الجدران  
المحيطة بالساحة التي تقود اليه كانت المناشير حمراء  
وصفراء وبضياء. وكان النقاش والعراك والدم. وصديقي  
التركي يبحث عن شرموطة تتقن لعبة المصاقرة على السرير  
وكان الدم والدويرات. وابن هشام يناقش الفرق بين سي  
وسوف... وكان .. وكان.. لم يتغير شيء. غير اننا صرنا  
اكثر نضحاً واشد احترافاً للهموم.

وأوقفني على ريق المساء عبد اللطيف يخط بالطبشور خارطة ويشبك خلف معطفه اليدين  
كمن حفته كآبة قلق الحمام البحر يسكن صدرك المثقوب يا عبد اللطيق،  
وانت تدخل طقسك الباكي  
وتبصر في الاحبة مخبرين

وتستعير من التزييف لغاته

والبحر اول من سيشهد ان الصدر دالية لهاث الخيل بعض فروعها،  
والبحر آخر من يصدق لعبة الانشاء والالقاء..

كان صديقك السهر الذي يهب العيون براءة الاطفال،

حتى حين أجلسك السهاد على امتداد جبينه،

حتى وانت تغادر الجسد الممزق حاملا نعليك،

متخذًا طيور البحر بوصلة،

وحتى اذ رسمت على الجبين كآبة الشجر المقرص في انتظار غمامة كنت احتمال مجيئها  
تلك اليمامة ذكـرتني باغتيال اجبتي وأشار باليسرى ابو الخشي. كان الأفق محتما بمعطفه،

وبعض حمام السهب المجاور تقتفي خطو الاشعة

(كان موعدنا المساء، حلقت ذقني وانحدرت اليك مثل غمامة.

أولم يجد يوم انتقال الأهل توقيتا سوى ذاك المساء.

عرفت حين همست : فليكن اللقاء كتابة.

ان الكتابة لن تكون الي)

ايه البحر اصغر يا ابا الخشي مما نشتهي :

وطن يعذب عاشقيه،

وبعض من نهوى سثمن حديثنا المعجون بالوطن المكابر،

فانحدرن الى الشوارع يكتشفن تمايز الأجساد

هذي خطوة لأبد نخطوها

وأردف — حين باغتني اندلاق من جنون الكركدان

شمعت صورة قاتلي

هل ما تزال قرونه تعلقو ؟

— علت وايض منها المفرقان.

انا اشتياقتك للنطاح فخذ جبينى ايها. الموسوم بالفتك المؤجل.

كان يغمد دمعة ما جاوزت بعد الجبين، وضمنى !

لم تكن اموزار بعيدة. لكننا كلما احسنا بالموت

البطيء كنا نسرق الخطو اليها، فترضنا، تمنحنا الاحساس

بأن الزمن الهارب قد يقلل من سرعته أي ريح عبثت

بتلك الايام حين تخرجنا حفاة عراة لا نملك الا الرأس

المسكون بالاحرف والقلب العامر بالحلم.. واقتصتنا

وظائف شتى ومناطق عديدة لم تذكر في خارطة الوطن.

أي ريح وزعتنا فلم نعد نحتفظ من ملامح بعضنا الا بما

تجد به ذاكرة مثقوبة ؟

هنا وقفت جهانُ على امتداد سحابة  
كان الحنين مياغثا حين استعارت مشيتي  
واستنفرت خيلا تمارس داخلي قبيلولة الفرسان.  
ايتها الفراشة زوديني باندلاق البحر كي اهب الكتابة شكلها الانقى  
جهانُ البحر غطاني، فتحت كتابه وقرأتُ :  
هذا ظلك الممتد من علك الهموم الى انفجار كتابة اخرى. جهانُ  
العالم الموسوم بالفرح البدائي اكتشفت صهيله، يتها الفراشة  
علميني كيف امتشق ابتسام الفحل ماسحة رصيف القلب من بصمات هذا المارد المدعو  
حزنا.

خلقنا المبني تبيي وجبة اخرى واحبائي احتفوا. لعقوا الوجوه بنظرة وسعت حنين الخيل،  
لو أني اتمت القلب ساعة لوحوا، هل كان ينغل بالخيول ؟  
تتأني يتها المسافة بين جسمي والفراغ، اليوم اضبط حاملا صور العصاة،  
اليوم تبدأ رحلتي صوب انفجار آبق  
واليوم اكتشف اكتشاف يمامة وقفت تثير بصوتها نشيق البنادق،  
يامسافة، ياخيول، ويا انفجاري بالصهيل وددت لو احببت للاهل احتفالا تهدم الشيوخات  
فيه يرقصين السقف  
لو اني اخترت البرق في العيطات والملحون..

هذا عرسكم  
جسد يغادر لحمه مستأنسا بالجمر،  
اشياء تظل من الجبين مدينة شميت قليلا ابطها..

لو كان .... هذا عرسكم  
تقف الحجارة كي تغازل بعضها، تقفون،  
احشى بالمداد وانتشي فرحا يفتش عن لغات يرتديها  
خذ جيبيني يا أبا الخشي واثبت قبل تحصدك البنادق،  
انهم آتون من بوابة المبني

وتقافزنا حين دوهم المطعم الجامعي، وانطفأت كل  
المصابيح. صرخت فتاة شرقية امسكت من سالفها  
الطويل. سيوني سيوني فتعالت ضحكاتهم. قال احدهم  
وكان غليظ القفا طويلا : باغية تدوعيني بكلام  
المسلسلات. يافاس حيا الله ارضك من ثرى.. كل  
الاسماء تضيع. ولكن ابا الخشي يتناسخ في جسدي  
بعينين زاستعتين وقصائد لم تكتب بعد.

أفتت على سعال سحابة، واشتقت أركض ناسفا صدري  
«ندى لمي الغسيل، ابوك منشغل برثق فتوقه»

وندى أستحالت غيمة

اخطو، وتسرقني الوجوه من الخطى.

استل انشادا واركب كي اسمي فتنة بعض اكتساباتي

فيغدر في الزحاف، يشدني نحو انفعال حاهر.

تلك الصبية تمطتي ارق الضفادع، كيف اجعل ضفدعا لغتي،

وكيف اجر بسمة صاحبي. وسط الكتابة كي تمارس لكرها

واقفت. ها عبد اللطيف اكتظ بالهذيان. تلك بداية المعراج :

تكتب طفلة ان انفجارا للملاح يشرب وتخفي

وجهان تشنق دمية، وتقول : بابا، علة الكيريت افضل

انت شيقة الهموم حبيبي

ولك انفجار لم تسعه الابجدية.

ندى تحتل يميني

وأنا اتقدم نحوك يا وطني

أرفع مبتسما كناش همومي

وعلى ظهر سلحفاة اجتاز حدود النار

وجهان يساري

جاءوك على متن طيور وقفوا

كانوا أصنافا : منهم من يبست بعض نوابضه

والصنف الثاني ظل طريا. قال اليايس منتفخ الشدقين :

(هذا زمن الحكمة !

ترسلنا بيروت الى القدس، وترسلنا القدس الى القسطنطينية، وترسلنا

القسطنطينية الى نيويورك

ليس مهما ان تبدأ رحلتنا من بيروت

أينم وجهنا اعيننا تمة وجه يأخذ بعض معاله من كعب

ديفيد وأخرى من حلم مكبوت)

ووقفت كبيرا ياشكدا لي.. وقفت على خاصرة الريح. أشرت

اليهم بالرأس، وحين التفتوا :

كانت طرق اخرى تبدأ من مدن اخرى

وعلى مد العين ارتفعت بيروت بقامتها العربية

أكبر من حجج المساة وأحلى من أن تذرف دمعا

ووقفت كثيرا ياشكدالي. وكان  
تل الزعتر في كل مكان !  
هل قتلوك الليلة ام قتلوك غدا ؟  
أنت المتفرد بالشييق من نعرات الانسان  
ياشكدالي المحروق الفخذين، المقسوم الى جزئين الـ  
متورط في وحدته بالشفيتين القاتل والمقتول العامر بالايمان  
جاءوك وكان  
تل الزعتر في كل مكان !

### خذوني معكم أيها البحارة

لأن البحر يمنح ساعة للقلب ها جسدي ينز بكم  
يفامزني الرذاذ فأنتشي. تلك المسافة ليس تفصل  
عاشقا عن عاشق. وانا المحمل باشتعال رائع لليتم  
اكتشف الصحابة في جنون الخيل او أرق المناره  
عيون البحر عرتني  
وحين كشفت علمني التحدث بالاشارة  
ألا يانورس الشيطان سهربي لأرصد قامتي وسط ام  
تهان عابر للطول، سهربي لا بحث عن اناء لاحتواء  
ملوحتي. أنا حامض، والبرق سافر بي  
كأن الأرض تطلع بي من الغثيان : أرسم وجهة وأقول  
هذا البحر متكئ علي بمرفق  
أي اتجاه غير أن نمشي معا صوب انفجار رائع للضوء  
والاملاح ايها المصاغة من قضيب الند والجايوي  
لك الدنيا مقابل ان يشاركني الرحيل حضورك القمحي  
هذا الفصل مكنتز  
وأنت بصحبتني تتوردين كحلمة مصت  
أحبك. أنت من سيحدث الاصحاب عن موتي اعتيالا  
حين تفرزني المياه، وأنت من يبكي. يكبر صورتي  
ويشتم اقمصتي. احبك انت فانيجسي

غص ياشكدالي في ايامك المنسية. غص كحليجي  
يبحث عن الماس. وانتظر. كنت موعودا بالفرح وما  
شعرت. وحين جاءك الخاض في الحمام خرجت

تعدو نحو قرش اخرى تبيع حيات العرق بالفزتك.  
أتذكر ذلك الشيخ ذا الرجل الخشبية يوم حدق فيك  
مليا وقال لأمك : سيكون هذا الفتى شأن واي  
شأن. ها انت تحمل ميراث قرون وقرون تبدأ من  
السوط لتنتهي بالكهرباء. ولا تنقصك الا امرأة كي  
تجعل العالم يمشي على قدميه !

من يطعمني لله  
اعرفه، ذاك الوجه الطافح بالاحزان البدوية  
هاهو يأتينا الليلة، تسرق وقع خطاه الجدران  
يسقط فوق موائدنا  
يختلس العشق المتورم فينا  
يكوننا بالأيام المنسية  
ذاك الوجه الطافح بالاحزان البدوية.  
كان الصمت هوايته المحبوبة  
لكننا لم نسأل ماذا كان وراء الصمت  
قالوا : سحرته امرأة واسعة لعينين  
قالوا : احيانا تدخل غرفته جنيه  
ذاك الرأس الراشح صوفا، والوجه عروقا  
فتحينا العين رأيناه، حبونا ورأيناه، مشينا  
غيرنا الانسان رأيناه. وما غادر موضعه في اقصى بن مسيك  
ما ابتلعتة الالفاظ المرشوشة بالنند  
ما اقتلعتة الهزات الأرضية  
وتجنبناه مرارا، طاردناه مرارا،  
وسخرنا من سمنته البنيه  
من يطعمني لله  
أعرفه مذ كنت ارتق — طفلا — احذية الأهل لديه  
يسألني عن سر الحزن البائت في عيني  
احاوره بالعض على الشفة السفلى  
(حين تحول حزنك رفضا تكبر ياولدي تكبر، كالثخلة  
تصبح، فأسا يقطع اشجار الصبار)  
اعرفه .. أذكر يوم انهدمت في قلب مدينتنا الاسوار  
غاب عن الدرب زمانا، فنسيناه

نسينا الرأس الراشح صوفا والوجه عروفا  
 وكبرنا .. مارسنا الحب علانية، وتزوجنا  
 صرنا نملك سيارات ومنازل رومية  
 ومشاغل أخرى يومية  
 هاهو يأتينا الليلة من اغوار الزمن الغائب  
 أوجه القمحي بلون السحب الشتوية  
 لكن البسمة ما فارقت الشفتين الزرقاوين  
 يأتيك الليلة، تحمله رجل خشبية  
 يسقط فوق موائدنا: ويعرينا  
 كي نبصر افظع ما تبصره العينان :  
 أقزاما تسكن فينا

انخرج ياشكدي من ايامك المنسية اخرج  
 كخليجي وجد الماسة، واعترف. كنت موعودا  
 بالفرح وادركته. وحين جاءك الهم من الجهات الأربع  
 خرجت تعدو نحو قريش اخرى برجل خشبية، فانا  
 هي تبعلك، متوردة كحلمة مصت، ولأنك الطفل  
 العائد بالنار والمطر فستكتب في ورق ما. كي يقرأه  
 جيل ما في زمن ما. أن الشكدي، وريث الأرجل  
 الخشبية والعيون المسمولة. مزج المرأة بالوطن الكبير  
 وكان، وكان، وكان.

كان الأرض تطلع لي من الغثيان محترق وابحث عن حريق  
 سمني المنفى

وسم حضور أوجه من احب بداية الوسواس  
 فاحأني انفجار رائع : تقف الاناث على مداخل معطفي  
 وأقول : من منكن تشبه في السخاء جهان ؟  
 ومن منكن تملك ان تصدر للزناز حبا علبا ؟  
 ومن منكن تربط خصرها بالموت ؟  
 فاجأني الحنين الى انهيار شيق : أنسل متشحا بطعم  
 جرادة تشوي، اشد الحرف من ادنيه كي ينقاد، للوطن اك  
 كتابات : تراءى ليلة الأسوء وجه سعيدة، غطت بنصف  
 قميصها ارق الخيول، وكانت الجدران تبصق غيضا  
 خشبا، زجاجا، حبا العمري بعض همومه في قطعة

الطيشور. اخشاب، زجاج، سوف ارحل قال.  
وانلقت بنا بعض الدروب. حجارة ودم  
لماذا حين تفقد ثديها. سيناء تكتشف العصي رؤوسنا ؟  
ها انت يعطار تدخل فاتحا في القلب غزة.

تستميل سحابة خضراء للسهر المورق. ترمي في موجها  
كفي تعبر القضبان، تخرج، ها شهود النفي مازالوا شهود النفي  
هات الشاي، وليفتح لنا العمري نافذة على وطن احب صهيله  
خشب، زجاج. والطريق تشدنا من ارنبات الأنف  
تمنحنا البكاء وتلتوى  
أنا حامض والبرق سافر لي  
عليّ صلاة كل يمامة وسلامها، ما كنت اول من تحمض  
في غياب حبيبه : كل الذين «تسعيدوا» و «تعمروا»  
و«تكرينوا» هم اول «الحمضي»  
وانت الواسع المكتظ بالاحباب ياقلبي. وأنت جريمتي !

يمد البحر ساعة انتشي رجله يقبني ويرحل ياجهان  
كل الذين احبهم، عادوا.. ولكن كيف لم يعد الامان ؟  
كنا عند صهيل الجرس الأول كل صباح نلصق اعيننا بالبا  
ب الأكبر، عند صهيل الجرس الثاني نهمس : قد اخذوهم  
اذكر أن قد سألوني عن أحبابي، قلت لهم :  
أحبابي رهنوني فوق جذوع النخل كتاب مرث  
واعتصموا بنبوءات لا تخطي

ها اني اذ ابكي يتوسطني فرح، فاكشفوني  
اتلبس بالفرح العالي كالقبضة في فاتح ماي  
مالي حين انفتحت كازاخستان وأوتني، ليس البحر  
جيني، واتكأت بعض حمامات الكولخوز تذكرني بالوطن  
الفاتن :/هدنتي أنكم /وايتسمت بعض مناطق باختيار  
كانت كازاخستان تهب على نزل الانهار السبعة حاملة  
بعض نفائسها اذ اورق في جسدي عنب. وتذليت عنا  
قيد حنين. وطني يااختيار وسيم، وأنا اقتل حين

اصرح بالعشق. وآه ما اروعني بين العشاق المحترقين  
وما اجمل فتحات الخنجر في ظهري اذ اثئاب او  
تفتح مصراعي حمامات الكولخوز !

دوربا أوترا. هل عاد دانيار من رحلته نحو الشوق ايها  
العزير ايتاتوف لا وقت للتعازي. فسلالة الانسان لن  
تقرض. والعربات التي ظلت تحمل القش تمتلي  
اليوم بتفاح ألمآنا. لا وقت للتعازي. وانت ايها المرافق  
الوسيم ما كانكرو. لماذا حين ودعناك لبث وافقا وقد  
ملا البكاء جفنيك سنلتي، سنلتي. وستذكرنا  
كلما تفقدت شجيرات الفتاح التي غرستها اما  
نحن. فسوف نظل نحمل في القلب اروع صورة  
للانسان حتى تتمكن من صنع الانسان.

أخاف اقاتل الاشجار أو أرث انهار صبية  
لم تكفرت لجموح فتنها العيون. /مساء ودعني وأطرق  
لم اقل شيئا، ولكني اتكأت على جيني يشتكى  
واشتقت امضع ساعة مما تحتر من أماسي الوصل  
اني مترع بالكائنات، ولي انشطار يستمر دقيقة في  
اليوم : اخرج فاتحا في الصدر غرة  
فاتحا تجوية النصل المقدس للاشعة والجمام المحتمي  
بسرادق من مرثيات العصر  
اني مترع بألذ فاكهة : جنوني  
ايها الجهو الذي يرفو الكتابة بالنشيج ويستضيف نبوءي  
كن حافلا بالموهات، مزاحما زمن الكتابة بالمقاس وجربي  
صوب اندلاق الشمس منك النزوع  
كبرت تضاريسي ولكن الدموع هي الدموع  
اني الصدى وبروزه الوحشي عبر الصخر والفجوات، امتهن  
المشاكس في انتظار اياهم. وأمر مر سحابة فوق انفجا  
راقي كأن يدا تسل دواخلي مني لتمنحها اندلاقا لا حدود  
تحده. وأنا تخيط الجفن مني بالسحاب  
هلم ياوسواس، ياخناس  
عاشري، وجدد صورتي بالملح، لبت تبادلت معك الهراش

عيونهم، أو ضاجعوك دقيقة في اليوم. هذي جيوشي  
أيها الوسواس، فيكن انفجارك ساخنا  
مثل اشتاء حبيبة  
ولتستفز الطير واللبلاب محتدما برائحة الفراش المكتوي  
هذي جيوشي فاقترب  
واندخل الساحات ممتليا بها طعم الدخان وناشرا  
ملح المعادن، مثل مجدوب يربط في عبائه الحمام  
وأشد فتكا فليكن حد الكلام.